

الرسالة المدنية

في تحقيق

المجاز والحقيقة في صفات الله

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال شيخ الاسلام : السلام على النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام على جيرانه
سكان المدينة الطيبة من الأحياء والأموات ، من المهاجرين والأنصار وسائر المؤمنين
ورحمة الله وبركاته إلى الشيخ الإمام العارف الناسك شمس الدين كتب الله في
قلبه الإيمان ، وأيده بروح منه وآتاه رحمة من عنده ، وعلمه من لدنه علما ،
وجعله من أوليائه للمتقين ، وحزبه المفلحين ، وخاصته المصطفين ، برزقه اتباع
نبيه باطنا وظاهرا ، والحق به في الدنيا والآخرة إنه ولي ذلك ، والقادر عليه .
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته (وبعد) نأني أحمد إليكم الله الذي لا إله
إلا هو ، وهو للحمد أهل ، وهو على كل شيء قدير ، وأسأله أن يصلي على
صفوته من خلقه ، وخيرته من بريته ، محمد وآله وصحبه وسلم تسليما والحمد
لله رب العالمين كثيرا ، كما هو أهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعز جلالة ،
وقد وصل ما أرسلتم من السكتب الثلاثة ، ونسأل الله ونرجو منه أن يكون
ما قضاه من مرض ونحوه من مصائب الدنيا مبلغا لدرجات قصر عنها العمل
وسبق في أم السكتب أنها ستفال ، وتكون الخيرة فيما اختاره الله لعباده المؤمنين ،
وقد علمنا من حيث المسموم أن الله لا يقضى للمؤمن قضاء إلا كان
خيرا له . ونسأل الله أن يتولاكم بحسن رعايته ويحقق لكم مقام (إياك
نعبد وإياك نستعين) ولا حول ولا قوة إلا به ، مع أننا نرجو أن تكون رؤية
التقصير وشهادة التأخير عن نعمة الله على عبده المؤمن التي يستوجب بها
التقدم ويتم له بها النعمة ويكفي بها مؤونة شيطانه المزين له سوء عمله ، ومؤونة
نفسه التي تحب أن تحمد بما لم تفعل ، وتفرح بما أنت ، وقد قال سبحانه وتعالى
(إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم
بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله أنهم إلى ربهم راجعون)
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هو الرجل يصوم ويصلي ويقصد
ويحاف ألا يقبل منه » وفي أثر أظنه عن عمر أو ابن مسعود من قال أنه
مؤمن فهو كافر ومن قال أنه في الجنة فهو في النار وقال والله الذي لا إله

غيره ما من أحد على إيمان ويسلبه عند الموت إلا يسلبه (؟) وقال أبو العالية أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف على نفسه النفاق، وقال الصديق رضى الله عنه إن الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وذكر أهل النار فذكرهم بأقبح أعمالهم فيقول الرجل أين أنا من هؤلاء يعنى وهو منهم - هذا الكلام أو قريباً منه - فليبرد القلب من حرارة هذه الشهادة أنها سبيل مهيمن لعباد الله الذين أطبق شهداء الله في أرضهم كانوا من الله بالمكانة العالية مع أن الأزداد من هذه الشهادة هو النفع من الأمر الغالب ما لم يفض إلى تسخط للمقدور وإياس من روح الله أو فتور عن الرجاء والله تعالى يقول لا يكلمكم ولا يكلمكم إلى أحد غيره .

وأما ما ذكرت من الأسباب الأربعة التي لا بد فيها من صرف الكلام من حقيقته إلى مجازه فأنا أذكر ملخص الكلام الذي جرى بينى وبين بعض الناس في ذلك وهو ما حاكته لك وطلبته وكان إن شاء الله لك وغيره به منفعة على ما في الحكاية من زيادة ونقص (قال لى بعض الناس) إذا أردنا أن نسلط طريق سبيل السلامة والسكوت وهى الطريقة التي عليها السلامة قلنا كما قال الشافعى رضى الله عنه: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإذا سلطنا طريق البحث والتحقيق فإن الحق مذهب من يقاوم آيات الصفات وأحاديث الصفات من المتكلمين (فقلت) له أما ما قال الشافعى فإنه حق يجب على كل مسلم اعتقاده، ومن اعتقده ولم يأت بقول يناقضه، فإنه سلك سبيل السلامة في الدنيا والآخرة، وأما إذا بحث الإنسان وخص وجد ما يقوله المتكلمون من التأويل الذى يخالفون به أهل الحديث كله باطلاً، وتيقن أن الحق مع أهل الحديث باطنا وظاهراً فاستعظم ذلك وقال: أنتج لأهل الحديث أن يتناظروا في هذا فتواعدنا يوماً فكان فيما تفاوضناه أن أمهات المسائل التي خالف فيها متأخرو المتكلمين ممن ينتحل مذهب الأشعرى لأهل الحديث

مسائل . وصف الله بالعلو على العرش ، ومسألة القرآن . ومسألة تأويل الصفات (فقلت) له نبدأ بالكلام على مسألة تأويل الصفات، فإنها الأم والباقي من المسائل فرع عليها ، وقلت له : مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة ومن سلك سبيلهم من الخلف أن هذه الأحاديث تمر كما جاءت ويؤمن بها وتصدق، وتضان عن تأويل يفضى إلى تعطيل ، وتكليف يفضى إلى تمثيل وقد أطلق غير واحد ممكن حكى إجماع السلف منهم الخطابي مذهب السلف أنها تجري على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، وذلك أن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه ويتبع فيه مثاله فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية فنقول إن له يداً وسمعاً ولا نقول أن معنى اليد القدرة ومعنى السمع العلم (وقلت له) : وبعض الناس يقول مذهب السلف أن الظاهر غير مراد ويقول أجمعنا على أن الظاهر غير مراد وهذه العبارة خطأ إما لفظاً ومعنى ، أو لفظاً لا معنى لأن الظاهر قد صار مشتركاً بين شيئين أحدهما : أن يقال إن اليد جارحة مثل جوارح العباد، وظاهر الفضب غليان القلب لطلب الإنتقام ، وظاهر كوننا في السماء أن يكون مثل الماء في الظرف فلا شك أن من قال هذه المعاني وشبهها من صفات الخلق ونعوت الحديث غير مراد من الآيات والأحاديث فقد صدق وأحسن إذ لا يختلف أهل السنة أن الله تعالى ليس كمنه شيء لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، بل أكثر أهل السنة من أصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والمجسمة، لكن هذا القائل أخطأ حيث ظن أن هذا المعنى هو الظاهر من هذه الآيات والأحاديث وحيث حكى عن السلف ما لم يقوله، فإن ظاهر الكلام هو ما يسبق إلى العقل السليم لمن يفهم بتلك اللغة ، ثم قد يكون ظهوره بمجرد الرضع وقد يكون بسياق الكلام، وليست هذه المعاني الحديثة المستحيلة على الله تعالى هي السابقة إلى عقل المؤمن بل اليد عندهم كالعالم والقدرة ولذات فكما كان علمنا وقدرتنا وحياتنا وكلامنا ونحوها من الصفات أعراضاً تدل على

حدوثنا يتمتع أن يوصف الله تعالى بمثلها فكذلك أيدينا ووجوهنا ونحوها أجسام محدثة لا يجوز أن يوصف الله تعالى بمثلها ، ثم لم يقل أحد من أهل السنة إذا قلنا إن الله علما وقدره وسما وبصراً أن ظاهره غير مراد ثم نفسه بصفاتنا فكذلك لا يجوز أن يقال أن ظاهر اليد والوجه غير مراد ولا فرق بين ما هو من صفاتنا جسم أو عرض للجسم ومن قال إن ظاهر شيء من أسمائه وصفاته غير مراد فقد أخطأ لأنه ما من إسم يسمى الله به إلا والظاهر الذي يستحقه المخلوق غير مراد به فكان قول هذا القائل يفضى إلى أن يكون جميع أسمائه وصفاته قد أريد بها ما يخالف ظاهرها ولا يخفى ما في هذا الكلام من الفساد (والمعنى الثاني) أن هذه الصفات إنما هي صفات الله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله نسبتها إلى ذاته المقدسة كنسبه صفات كل شيء إلى ذاته فيعلم أن العلم صفة ذاتية للموصوف وله خصائص ، وكذلك الوجه ولا يقال أنه مستغن عن هذه الصفات ، لأن هذه الصفات واجبة لذاته وإلا له المعبود سبحانه هو المستحق لجميع هذه الصفات وليس غرضنا الآن الكلام مع نفاة الصفات مطلقاً وإنما الكلام مع من يثبت بعض الصفات . وكذلك فعله ففلم أن الخلق هو ابداع الكائنات من العدم وإن كنا لا نكيف ذلك الفعل ولا يشبهه أفعالنا إذ نحن لا نفعل إلا الحاجة إلى الفعل والله غني حميد وكذلك الذات تعلم من حيث الجملة وإن كانت لا تماثل الذوات المخلوقة ولا يعلم ما هو إلا هو ولا يدرك لما كيفية فهذا هو الذي يظهر من إطلاق هذه الصفات وهو الذي يجب أن يحمل عليه فالمتوهم يعلم أحكام هذه الصفات وهو الذي أريد منه فيعلم أن الله تعالى على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، وأن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، وأن المؤمنين ينظرون إلى وجه خالقهم في الجنة ويتلذذون بذلك لذة ينغمس في جانبها جميع الذات ونحو ذلك كما يعلم أن له ربا وخالقاً ومعبوداً ولا يعلم كنه شيء من ذلك بل غاية علم الخلق هكذا يعلمون الشيء من بعض الجهات ولا يحيطون بكنهه وعلمهم بنفوسهم من هذا الضرب .

(قلت له) أفيجوز أن يقال أن الظاهر غير مراد بهذا التفسير فقال لا يمكن

هذا فقلت له من قال : أن الظاهر غير مراد بمعنى أن صفات الخلقين غير مرادة قلنا له أصبت في المعنى لكن أخطأت في اللفظ ، وأوهمت البدعة وجعلت للجهمية طريقا إلى غرضهم وكان يمكنك أن تقول تمر كما جاءت على ظاهرها مع العلم بأن صفات الله تعالى ليست كصفات الخلقين وأنه منزه مقدس عن كل ما يلزم منه حدوده أو نقصه ، ومن قال الظاهر غير مراد بالتفسير الثاني ، وهو مراد الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة والأشعرية وغيرهم ، فقد أخطأ ثم أقرب هؤلاء الجهمية الأشعرية يقولون : أن له صفات سبع الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر وينفون ماسواها وغدا هم يقطعون بنفي ماسواها ، وأما المعتزلة فهم ينفون الصفات مطلقا ويثبتون أحكامها وهي ترجع عند أكثرهم إلى أنه عليم قدير .

وأما كونه مريدا متكلمًا فعندهم ، أنها صفات حادثة أو إضافية أو عدمية وهم أقرب الناس إلى الصابئين الفلاسفة من الروم ومن سلك سبيلهم من العرب والفرس ، حيث زعموا أن الصفات كلها ترجع إلى سلب أو إضافة أو مركب من سلب وإضافة فمؤلاء كلهم ضلال مكذبون للرسول ، ومن رزقه الله معرفة ما جاءت به الرسل وبصرا ناقداً وعرف حقيقة مأخذ هؤلاء علم قطعا أنهم يلحدون في أسمائه وآياته ، وأنهم كذبوا بالرسول والكتاب ، وبما أرسل به رسوله ولهذا كانوا يقولون البدع مشتقة من الكفر وآية إليه ، ويقولون أن المعتزلة مخانيث الجهمية والفلاسفة ، والأشعرية مخانيث المعتزلة وكان يحيى بن عمار يقول المعتزلة الجهمية الذكور والأشعرية الجهمية الأناث ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية . وأما من قال منهم بكتاب الأبانة الذي صنعه الأشعري في آخر عمره ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة لكن مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة لا سيما و (أنه) بذلك يؤهم حسنا بكل من انتسب هذه النسبة ويفتح بذلك أبواب شر والكلام في هؤلاء الذين ينفون ظاهرها بهذا التفسير .

(قلت له) إذا وصف الله نفسه بصفة أو وصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم أو وصفه بها المؤمنون الذين اتفق المسلمون على هدايتهم ودرائتهم فصرفها عن ظاهرها اللائق بجلاله سبحانه وتعالى وحقيقتها المفهومة منها إلى باطن يخالف الظاهر ويجاز يخالف الحقيقة لا بد فيه من أربعة أشياء (أحدها) أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاءوا بلسان العرب ولا يجوز أن يراد منه خلاف لسان العرب أو خلاف الألسنة كلها فلا بد أن يكون ذلك للمعنى المجازي مما يراد به اللفظ وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أى لفظ بأى معنى ناسخ له وإن لم يكن له أصل في اللغة (الثاني) أن يكون معه دليل يوجب صرفه اللفظ عن حقيقته إلى مجازه، وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة وفي معنى بطريق المجاز لم يحز حمله على المجازي بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء. ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجع للحمل على المجاز (الثالث) أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مرادة أمتنع تركها. ثم إن كان هذا الدليل (نصا) لم يلتفت إلى تقيضه وإن كان ظاهرا فلا بد من الترجيح (الرابع) أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره وصد حقيقته فلا بد أن يبين الأمة أنه لم يرد حقيقته وإنما أراد مجازه، سواء عينه أو لم يعينه، لا سيما في الخطاب العامي الذي أريد منهم فيه الأعتقاد والعلم دون عمل الجوارح. فإنه سبحانه وتعالى جعل القرآن نورا وهدي وبيانا للناس وشفاء لما في الصدور، وأرسل الرسل للناس للناس ما نزل إليهم، ولتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ثم هذا الرسول الأُمي العربي بعث بأفصح اللغات وأبين الألسنة والعبارات

ثم الأمة الذين أخذوا عنه كانوا أعمق الناس علما وأنصحهم للأمة وأبينهم للسنة فلا يجوز أن يتكلم هو وهؤلاء بكلام يريدون به خلاف ظاهره إلا وقد نصب دليلا يمنع من حمله على ظاهره ، أما بأن يكون عقليا ظاهرا مثل قوله ﴿ وأوتيت من كل شيء ﴾ فإن كل أحد يعلم بعقله أن المراد أوتيت من جنس ما يؤتاه مثلها . وكذلك قوله (خالق كل شيء) يعلم المستمع أن المراد الخالق لا يدخل في هذا العموم ، أو سمعياً ظاهرا مثل الدلالات في الكتاب والسنة التي تصرف بعضها الظواهر ولا يجوز أن يحيلهم على دليل خفي لا يستنبطه إلا أفراد الناس سواء كان سمعياً أو عقليا ، لأنه إذا تكلم بالكلام الذي يفهم منه معنى وأعاده مرات كثيرة وخطب به الخلق كلهم — وفيهم الذكي والبليد والفقير وغير الفقيه وقد أوجب عليهم أن يتدبروا ذلك الخطاب ويعقلوه ويتفكروا فيه ويمتقدوا موجهه ، ثم أوجب أن لا يقصدوا بهذا الخطاب شيئا من ظاهره لأن هناك دليلا خفيا يستنبطه أفراد من الناس ينزل على أنه لم يرد ظاهره كان تدليسا وتليسا وكان نقيض البيان وضد الهدى وهو بالألغاز والأحاجي أشبه منه بالهدى والبيان . فكيف إذا كانت دلالة ذلك الخطاب على ظاهره أقوى بدرجات كثيرة من دلالة ذلك الدليل الخفي على أن الظاهر غير مراد ؟ كيف إذا كان ذلك الخفي شبهة ليس لها حقيقة ؟ !

فسلم لي ذلك الرجل هذه المقامات .

(قالت) : ونحن نتكلم على صفة من الصفات ونجعل الكلام فيها انموذجا يحتذى عليه ، ونعبر بصفة اليد وقد قال تعالى (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يدها مبسوطتان ينفق كيف يشاء) وقال تعالى لأبليس (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (تبارك لدى بيده الملك) وقال تعالى (بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) وقال تعالى (أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما)

وقد تواتر في السنن مجيء اليد في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فالمفهوم من هذا الكلام أن الله تعالى يدين مختصتين به ذاتيتين له كما يليق بجلاله ، وأنه سبحانه وتعالى خلق آدم بيده دون الملائكة وإبليس ، وأنه سبحانه وتعالى يقبض الأرض ويطوى السموات بيده اليمنى وأن يديه مبسوطتان ، ومعنى بسطهما بذلك الجود وسعة العطاء لما كان الجود في الغالب يكون ببسط اليد ومدّها وتركه يكون ضماً لليد إلى العنق صار من الحقائق العرفية إذا قيل هو مبسوط اليد فهم منه يد حقيقة ، وكان ظاهره الجود والبخل كما قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ويقولون فلان جعد البنان وسبط البنان .

(قلت) له فالقائل إن زعم أنه ليس له يد من جنس أيده المخلوقين وأن يده ليست جارحة فهذا حق وإن زعم أنه ليس له صفات زائدة على الصفات السبع فهو مبطل فيحتاج إلى تلك المقامات الأربعة . (أما الأول) فيقول إن اليد بمعنى النعمة والعطية سمى الشيء باسم سببه كما يسمى المطر والنبات سماء . ومنه قولهم : فلان أياد عندي وقول أبي طالب لما فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

يارب رد راعي محمدأ رده على واصطنع عندي يدا

وقول عروة بن مسعود لأبي بكر يوم الحديبية : لولا يدك عندي لم أجرك بها لأجبتك . وقد تكون اليد بمعنى القدرة تسمية للشيء باسم مسببه لأن القدرة هي تحرك اليد يقولون فلان له يد في كذا وكذا . ومنه قول زياد لمعاوية : إني قد أمسكت العراق بإحدى يدي ويدي الأخرى فارغة يريد نصف قدرتي ضبط العراق . ومنه قوله (بيدي عقدة النكاح) والنكاح كلام يقال وإنما معناه أنه يقدر عليه وقد يجعلون إضافة الفعل إليها إضافة الفعل إلى الشخص نفسه لأن غالب الأفعال لما كانت باليد جعل ذكر اليد إشارة إلى أنه فعل بنفسه قال الله تعالى (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) إلى قوله (ذلك بما قدمت

أيديكم) لأن بعض ما قدموه ككلام تكلموا به وكذلك قوله (ولو ترى إذ أتوا في
الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) إلى قوله ذلك بما قدمت
أيديكم) والعرب تقول يدك أوكتا وفوك نفتح نوبينا لكل من جر على نفسه
جريرة لأن أول ما قيل هذا لمن فعل بيديه وضمه .

(قلت له) ونحن لا ننكر لغة العرب التي نزل بها القرآن في هذا كله والمتأولون
للصفات الذين حرفوا الكلم عن مواضعه والحدوا في أسمائه وآياته تأولوا قوله
(بل يدها مبسوطتان) وقونه (لما خلقت يدي) على هذا كله فقالوا : بقدرته
وقالوا اللفظ كناية عن نفس الجود من غير أن يكون هناك يد حقيقية بل هذه
اللفظة قد صارت حقيقة في الدطاء والجود وقونه (لما خلقت يدي) أي خلخته
أنا وإن لم يكن هناك يد حقيقة .

(قلت له) فهذه تأويلاتهم؟ قال نعم .

(قلت له) فننظر فيما قدمناه (المقام الأول) أن لفظ اليدين بصيغة التثنية
لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة لأن من لغة القوم استعمال الواحد في الجمع
كقوله (إن الإنسان لني خسر) ولفظ الجمع في الواحد كقوله (الذين قال
لهم الناس) ولفظ الجمع في الاثنين كقوله (صغت قلوبكما) أما استعمال اللفظ
الواحد في الاثنين والأثنين في الواحد فلا أصل له . لأن هذه الألفاظ عدد
وهي نصوص في معناها لا تجوز فيها فلا يجوز أن يقول عندي رجل ويعني رجلين
ولا عندي رجلان وهو يعني به الجنس . لأن الاسم الواحد يدل على الجنس
والجنس في الواحد شائع وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس ، والجنس يحصل
بحصول الواحد فقوله (لما خلقت يدي) لا يجوز أن يريد به القدرة لأن القدرة
صفة واحدة ولا يجوز أن يعبر بالأثنين عن الواحد . ولا يجوز أن يراد به النعمة
لأن نعم الله لا تحصى فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية .
ولا يجوز أن يكون لما خلقت أنا لأنهم إذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل إلى اليد

فتكون إضافة نزيد إضافة له إلى الفعل كقوله (بما قدمت يداك) (وقدمت أيديكم) ومنه قوله (مما عملت أيدينا أنعاما) أما إذا أضافوا الفعل إلى الفعل وعدى الفعل إلى اليد بحرف الباء كقوله (لما خلقت بيدي) فإنه نص في أنه فعل الفعل بيده . ولهذا لا يجوز لمن تكلم أو مشى أن يقول فعلت هذا بيدي أو فلان فعل بيده إلا وقد يكون فعله بيده حقيقة ولا يجوز أن يكون لا يده له أو يكون له يد والمعل وقع بغيرها وهذا الفرق المحقق يبين مواضع المجاز ومواضع الحقيقة ، ويبين أن الآيات لا تقبل المجاز البتة من جهة نفس اللغة قال لى : فقد أرقعوا الاثنين موقع الواحد فى قوله (القيافى جهنم) وإنما هو خطاب للواحد .

(قلت له) : هذا ممنوع بل توله (ألقينا) قد قيل تثنية الفاعل كتثنية الفعل والمعنى التى التى ، وقيل إنه خطاب للسائق والشهيد ، ومن قال أنه خطاب للواحد قال إن الإنسان يكون معه اثنان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ، فيقول خليلي فإنه بوقع هذا الخطاب وإن لم يكونا موجودين كأنه يخاطب موجودين فقوله (القيا) عند هذا القائل إنما هو خطاب مع اثنين يقدر وجودهما فلا حجة فيه البتة .

(قلت له) المقام الثانى أن يقال هب أنه يجوز أن يعنى باليد حقيقة اليد وأن يعنى بها القدرة والنعمة ويحمل ذكرها كناية عن الفعل لكن ما اللوجب لصفته عن الحقيقة ؟ فإن قلت لأن اليد هى الجارحة وذلك ممتنع على الله سبحانه (قلت لك) هذا ومحوه بوجب امتناع وصفه بأن له يدا من جنس أيدي الخلقين هذا لا ريب فيه ، لكن لا يحمله أن يكون له يد تناسب ذاته تستحق من صفات الكمال ما تستحق الذات .

قال ليس فى العقل والسمع ما يحيل هذا .

(قلت) فإذا كان ممكنا وهو حقيقة اللفظ فلم ينصرف عنه إلى مجازه وكل

ما يذكره الخصم من دليل يدل على إمتناع وصفه بما يسمى به وصحت الدلالة فيسلم له أن المعنى الذى يستحقه المخلوق ينتف عنه وإنما حقيقة اللفظ وظاهره يد يستحقها الخالق كالعالم والقدرة بل كالذات والوجود .

(المقام الثالث) قلت له بلغك أن فى كتاب الله أو فى سنة رسوله أو عن أحد من أئمة المسلمين أنهم قالوا المراد باليد خلاف ظاهره والظاهر غير مراد وهل فى كتاب الله آية تدل على انتفاء وصفه باليد دلالة ظاهرة أو دلالة خفية فإن أقصى ما يذكره المتكلم (قل هو الله أحد) وقوله (ليس كمثل شيء) وقوله (هل تعلم له سمياً) وهؤلاء الآيات إنما يدلن على انتفاء التجسيم والتشبيه . أما انتفاء يد تليق بجلاله فليس فى الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه وكذلك هل فى العقل ما يدل دلالة ظاهرة أن البارى لا يده البتة تليق بجلاله ولا تناسب المحدثات وهل فيه ما يدل على ذلك ولو بوجه خفى . فإذا لم يكن فى السمع ولا فى العقل ما يبنى حقيقة اليد البتة وإن فرض ما ينافيها فإنما هو فى الوجوه الخفية عند من يدعيه وإلا فى الحقيقة إنما هو شبهة فاسدة . فهل يجوز أن يملأ الكتاب والسنة من ذكر اليد ، وإن الله خلق بيده وأن يديه مبسوطتان وإن الملك بيده وفى الحديث ما لا يحصى ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأولى الأمر لا يبينون للناس أن هذا الكلام لا يراد به حقيقة ولا ظاهره حتى ينشأ جهنم بن صفوان بعد اقراض عصر الصحابة فيبين للناس ما نزل اليهم على نبيهم ويتبعه عليه بشر بن غياث ومن سلك سبيلهم من كل مغموص عليه بالنفاق ؟ وكيف يجوز أن يعلمنا نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كل شيء الخراءة ويقول « ما تركت من شيء يقر بكم إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به » « تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك » ثم يترك الكتاب المنزل عليه ، وسنته الغراء مملوءة مما يزعم الخصم إن ظاهره تشبيهه وتجسيمه وإن اعتقاد ظاهره ضلال وهو لا يبين ذلك ولا يوضحه ، وكيف يجوز للسلف أن يقولوا

أسروها كما جاءت مع أن معناها المجازي هو المراد وهو شيء يفهمه الأعراب حتى يكون أبناء فارس والروم أعلم بلغة العرب من أبناء المهاجرين والأنصار؟

(المقام الرابع) قلت له أنا أذكر لك من الأدلة الكلية القاطعة الظاهرة ما يبين لك أن الله يدين حقيقة فمن ذلك تفضيله لآدم يستوجب سجود الملائكة وامتناعهم عن التكبر عليه فلو كان المراد أنه خلقه بقدرته أو بنعمته أو مجرد إضافة خلقه إليه لشاركه في ذلك إبليس وجميع المخلوقات قال لي فقد يضاف الشيء إلى الله على سبيل التشريف كقوله (ناقة الله وبيت الله).

(قلت له): لان تكون الإضافة تشريفاً حتى يكون في المضاف معنى أفرده عن غيره، فلو لم يكن في الناقة والبيت من الآيات البينات ما امتازا به على جميع النوق والبيوت لما استحقا هذه الإضافة والأمر هنا كذلك، إضافة خلق آدم إليه أنه خلقه بيده توجب أن يكون خلقه بيده وأنه قد فعله بيده وخلق هؤلاء بقوله (كن فيكون) كما جاءت به الآثار. ومن ذلك أنهم إذا قالوا: بيده الملك، أو عملته يداك فهما شيان أحدهما إثبات اليد والثاني إضافة الملك والعمل إليهما. والثاني يقع فيه التجوز كثيرا (أما الأول) فإنهم لا يطلقون هذا الكلام إلا لجنس له يد حقيقة ولا يقولون يد الهواء ولا يد الماء. فهب أن قوله (بيده الملك) قد علم منه أن المراد بقدرته لكن لا يجوز ذلك إلا لمن له يد حقيقة والفرق بين قوله تعالى (لما خلقت بيدي) وقوله (مما عملت أيدينا) من وجهين: (أحدهما) أنه هنا أضاف الفعل إليه وبين أنه خلقه بيده وهذا أضاف الفعل إلى الأيدي (الثاني) أن من لغة العرب أنهم يضعون اسم الجمع موضع الثنية إذا أمرن اللبس كقوله تعالى (السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) وقوله (فقد صفت قلوبكم) أي قلبا كما فكذلك قوله (مما عملت أيدينا).

وأما السنة فكثيرة جدا مثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم «المقسطون عند

الله على منابر من نور على يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم
 وأهليهم وما ولوا » رواه مسلم وقوله صلى الله عليه وآله وسلم « يمين الله ملائ
 لا يغيثها نفقة سحاء الليل والنهار . أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض
 فإنه لم يفيض ما في يمينه . والقسط بيده الأخرى يرفع ويخفض إلى يوم القيامة »
 رواه مسلم في صحيحه والبخارى فيما أظن وفي صحيحه أيضاً عن أبي سعيد
 الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « تكون
 الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم
 خبزته بيديه في السفر » وفي الصحيح أيضاً عن ابن عمر يحكى رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم قال « يأخذ الرب عز وجل سمواته وأرضه بيديه - وجعل
 يقبض يديه ويبسطها - ويقول أنا الرحمن حتى نظرت إلى المنبر يتحرك أسفل
 منه حتى إنى أقول أساقط برسول الله » وفي رواية أنه قرأ هذه الآية على
 المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة
 والسموات مطويات بيمينه) قال « يقول أنا الله الجبار » وذكره وفي الصحيح
 أيضاً عن أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 « يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك
 الأرض ؟ » وما يوافق هذا من حديث الخبر ، وفي حديث صحيح « إن الله لما
 خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان إختراهما شئت قال اخترت يمين ربى وكلتا
 يدي ربى يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته » وفي الصحيح « إن الله
 كتب بيده على نفسه لما خلق الخلق أن رحمتى غلبت غضبي » وفي الصحيح أنه
 « لما نجا آدم وموسى قال آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده
 ونفخ فيك من روحه » وفي حديث آخر أنه قال سبحانه « وعزنى وجلالى
 لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فسكان » وفي حديث آخر فى
 السنن « لما خلق الله آدم ومسح ظهره بيمينه استخرج منه ذريته فقال هؤلاء

للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون : ثم مسح ظهره بيده الأخرى فقال خلقت هؤلاء
لنار وبعمل أهل النار يعملون » .

فذكرت له هذه الأحاديث وغيرها ثم قلت له هل تقبل هذه الأحاديث تأويلاً
أو هي نصوص قاطعة ؟ وهذه أحاديث تلقىها الأمة بالتقبل والتصديق رفقاً
قطراً من بحر غزير . فظاهر الرجل التوبة وتبين له الحق .

فهذا الذي أشرت إليه - أحسن الله إليك - أن أكتبه وهذا باب واسع ومن
لم يعمل الله له نوراً فماله له من نور . ومن يهدي الله فهو المبتدى ومن يضل
فلن تجد له ولياً مرشداً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وصلى الله على محمد وآله
وصحبه وسلم .

وسئل رحمه الله

عن قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل « وما تردت
عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره
مساءته » ما معنى تردد الله ؟ .

فأجاب : هذا حديث شريف رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله
عنه وهو أشرف حديث روى في صفة الأولياء . وقد رد هذا الكلام طائفة
وقالوا أن الله لا يوصف بالتردد ، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور والله
عالم بالعواقب وربما قال بعضهم أن الله يعامله معاملة المتردد .

والتحقيق إن كلام رسول الله حق ، وليس أحد أعلم بالله من رسوله ولا أنصح
لأمتة منه . ولا أفصح ولا أحسن بيانا منه ، فإذا كان كذلك كان المتحذلق
والمنكر عليه من أضل الناس وأجهلهم وأسوأهم أدباً . بل يجب تأديبه وتعزيزه
ويجب أن يسان كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الظنون الباطلة

والإعتقادات الفاسدة . والمتردد منا - وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور - لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا فإن الواحد منا قد يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد . فيريد الفعل لما فيه من المصلحة ويكرهه لما فيه من المفاسد لا لجهله به كالشيء الواحد الذي يجب من وجه ويكره من وجه كما قيل :

الشيب كره وأكره أن أفارقه فاعجب لشيء على البغضاء محبوب

وهذا مثل إرادة المريض للدواء الكريه بل جميع ما يريد العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب . وفي الصحيح « حفت الجنة بالمسكاره وحفت النار بالشهوات » وقال ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في الحديث فإنه قال « ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه » فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوبا للحق محبا له يتقرب إليه أولا بالنوافل وهو يجتهد في النوافل التي يحبها ويحب فاعلمها ، فأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد إتفاق الإرادة وبمحيط يجب ما يحبه محبوبه ويكره ما يكره محبوبه والرب يكره أن يسمى عبده ومحبوبه ، فلزم من هذا أن يكره الموت ليزداد من محاب محبوبه . والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت فكل ما قضى به فهو يريد ولا بد منه . فالرب يريد لموته ، لما سبق به قضاءه . وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده ، وهي المساءة التي تحصل له بالموت . فصار الموت مرادا للحق من وجه مكروهه له من وجه . وهذا حقيقة التردد . وهو أن يكون الشيء الواحد مرادا من وجه وإن كان لا بد من ترجيح أحد الجانبين كما ترجح إرادة الموت لكن مع وجود كراهة الرب لمساءة عبده وليس بإرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته كما إرادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريد . انتهى كلامه رحمه الله .